بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 76 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:05\03\2024 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال الكلام في التفريق بين الإنزال والتنزيل، استعرضت في المباحث السابقة جملة من النظريات، ووصلنا إلى النظرية الخامسة التي تبناها بعض المعاصرين وبعض الباحثين الأكاديميين. وقلنا إن هذه النظرية تشرح ضمن نقاط، وتقدم جملة من نقاط -لكن باعتبار طول البحث والفاصل التعطيلي- أكررها بشكل سريع.

النقطة الأولى: أن كل كلمتين في اللغة العربية بينهما تشابه المادة لابد أن ندقق في التفريق بينهما، ونطبق ذلك التفريق على جميع الموارد التي تصدق عليه الكلمتين، لا أن نلحظ جهة ونفرق على أساس ما لاحظناه، ونغفل عن التطبيقات الأخرى.

النقطة الثانية: بناء على ذلك، الفهم الأولي السطحي قد ينجح في التفريق بين تنزيل القرآن وإنزال التوراة والإنجيل. لكن التنزيل والإنزال لم يختص بالكتب السماوية، بل كما استعمل الإنزال والتنزيل مع الكتب السماوية استعمل مع الحديد واستعمل مع المن والسلوى واستعمل مع الماء وما شابه ذلك من الموارد الواردة في القرآن الكريم.

فحينئذ بمقتضى ما تقدم، لابد أن نطبق أي فرق نتبناه على تمام هذه الموارد.

النقطة الثالثة: أن الإنزال والتنزيل له نظائر في القرآن الكريم، من نظائره -التي ذكرناها سابقاً- البلاغ والإبلاغ، فالبلاغ والإبلاغ كالتنزيل والإنزال، بمعنى أنهما يشتركان في المادة أي: مادة البلاغ والإبلاغ واحدة ولكنهما يختلفان في الهيئة.

التفريق السطحي البدوي أن نقول هذه الهمزة التي أضفناها إلى الهيئة الثانية الإبلاغ، والتي تسمى في علم النحو بهمزة النقل، تحل المشكلة، فإن همزة النقل وظيفتها أن تعدي الفعل، إن كان الفعل لازماً فتعديه إلى مفعول واحد وإن كان متعدياً إلى مفعول فتعديه إلى مفعولين. هذا التفريق تفريق نحوي

لأجل بيان الإعراب، وليس تفريقاً حقيقياً بين الكلمتين، بل هو تفريق سطحي، فلذا فرق بينهما في أن البلاغ هو وضع الشيء في موضع الوصل، أما أنه وصل أم لم يصل مسكوت عنه. أما الإبلاغ فمضافاً إلى وضع الشيء في موضع لابد من ضمان وصوله إلى المبلغ له، فيقال إبلاغ، وذكرنا جملة من الآيات التي يستفاد منها هذا التفريق.

النقطة الرابعة[1]: على أساس ما ذكرناه في الألفاظ المشابهة البلاغ والإبلاغ، فعلى هذا الأساس نفسه نفرّق بين التنزيل والإنزال.

فالتنزيل بلحاظ مادته واضح لا يختلف فيه أحد، فيشترك التنزيل مع الإنزال، فهناك شيء في مكان أو في مقام فأنقله إلى مكان أو مقام آخر. هذا معنى نزل والنزول في اللغة العربية، فبهذا المقدار هو مشترك بين التنزيل والإنزال، أي: نقل الشيء من مكان أو مقام أو مرحلة إلى مكان أو مقام أو مرحلة أخرى. هذا هو العنصر المشترك بين هاتين الصيغتين.

لكن الفرق هنا هو أن التنزيل عبارة عن عملية نقل موضوعي خارج عن الوعي الإنساني. أما الإنزال فهو -أيضاً- عملية نقل لشيء لكن بحيث تصل إلى الوعي الإنساني. هذا هو الفرق بنظره بين التنزيل وبين الإنزال.

هذا التعبير لوحده لا يكون وافياً بالمطلوب إذا لم نطبقه خارجاً على مصاديق متعددة، فلذا ذكر لنا أمثلة متعددة، ومن خلال تلك الأمثلة يرى أن الفهم الحقيقي للفرق بين التنزيل والإنزال يمكن أن نصل إليه إلا بعد الاكتشافات الحديثة التي بدأت في منتصف القرن العشرين، ولولا ذلك لما استطعنا أن نفهم للإنزال والتنزيل.

ويضرب لنا لذلك مثالين[2]:

المثال الأول: مباراة في كرة القدم، لنفترض هناك فريقان أحدهما من قارة أمريكا والآخر من قارة أفريقيا يلعبان في المكسيك، ونحن هنا نريد أن نطلّع على ذلك، فالوسيلة المتعارفة هي الذهاب لمشاهدة هذه المباراة الحية، فإذا كان في الزمن القديم فيذهب مشياً على الأقدام مع تقدير الفترة

---

[1] (البحث الجديد).

[2] مع قطع النظر عن مادة المثالين، لكن نذكرهما -وإن كنا في بحث تفسيري- لأجل توضيح الفكرة حتى نناقشها بعد ذلك.

الزمنية للوصول قبل المباراة أو في الزمن الحاضر بالذهاب بالطائرة وما شابه ذلك من وسائل النقل الحديثة. فهذه لا يوجد فيها لا تنزيل ولا إنزال.

بعد التفجر الصناعي والإعلامي صار عندنا طريقة أخرى لمشاهدة تلك المباراة. عندنا في هذا المثال لاعبون أساسيون مؤلفون من أناس أحياء من لحم وعظم ودم يلعبون في المكسيك -هذا الواقع الخارجي الموجود بالفعل- وعندنا أشخاص هنا في إيران يريدون أن يشاهدوا تلك المباراة، فحتى يتأتى لنا ذلك، وتدخل تلك المباراة ضمن إدراكنا ومشاهدتنا، لابد أن نقوم بمجموعة من العمليات:

العملية الأولى: هي الوجود المادي للمباراة فعلاً، وهي موجودة الآن فعلاً في المكسيك. فإلى الآن لم يحصل أي إدراك وأي نقل وأي تنزيل أو إنزال.

العملية الثانية: بحاجة إلى التقاط تلك المباراة صوتاً وصورة -مثلاً- وهذا حصل خارجاً، هناك من يصور تلك المباراة.

العملية الثالثة: أن تبث تلك الصور والأصوات عن طريق الأمواج بواسطة الأقمار الصناعية إلى كل أماكن الكرة الأرضية التي عندها جهاز لاقط.

العملية الرابعة: أن يكون لدينا الآن جهاز يلتقط تلك الذبذبات ويعكسها لنا بشكل مباشر وحي.

هناك عملية أخرى بأن يسجل شخص تلك المباراة ويبعث لنا شريط الفيديو بالبريد، فيبقى أيام إلى أن يصل إلينا، فنضع شريط الفيديو في جهاز التلفزيون ونشاهد تلك المباراة.

الفرق بين الأولى والثانية هي أن الأولى نشاهدها بطريقة حية، والثانية نشاهدها بعد انتهاء المباراة ولا يوجد لاعبون في الخارج يلعبون.

عملية المباراة الأصلية عن طريق الأمواج وبثها إلى هذا المكان، هذا هو التنزيل؛ لأن كل هذه العملية فالمشاهد البعيد هي خارجة عن وعيه. وقلنا التنزيل هو عملية نقل خارج الوعي الإنساني، وهذه خارجة عن الوعي الإنساني.

عندما تدخل تلك الأمواج في جهاز التلفاز الذي أمامنا ليحولوها الجهاز إلى صورة وصوت فهذه نسميها إنزال؛ لأنها صارت مرتبطة بالوعي الإنساني.

فإذاً صار واضحاً في هذا المثال المادي ما هو الفرق بين الإنزال والتنزيل، فكل العمليات التي هي خارجة عن الوعي الإنساني نسميها عملية تنزيل، وعندما تصل إلى الوعي الإنساني والإدراك الإنساني حينئذ تسمى إنزال.